

الصفح من أجل التعايش الكوني - دريدا في مواجهة جانكليفيتش -

*Forgiveness for Cosmic Coexistence - Derrida in Confrontation
with Janklović*

مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية
جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم -
(الجزائر)

الفلسفة
التطبيقية

*أعبيدري مروة Marwa Abidri

Marwa.abidri.etu@univ-mosta.com

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم
- (الجزائر)

الفلسفة
الغربية

العربي ميلود Larbi Miloud

miloudlarbi2003@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/26

تاريخ الإرسال: 2024/09/10

ملخص:

إن إشكالية التعايش السلمي والكوني تعد من أهم المقاربات التي نالت اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ أمد بعيد، خاصة في عصور الأنوار، هذا ما دفعنا إلى التوجه نحو البحث في مقارنة جاك دريدا أحد أهم فلاسفة القرن الواحد والعشرين، في إطار ما يسميه، هو، بالصفح، والذي كان ردا صريحا ومباشرا على الفيلسوف الفرنسي فلاديمير جانكليفيتش، أهم المطالبين باعتبار ما اقترفته النازية من جرائم غير قابلة للتقادم والنسيان، مؤسسا بذلك لرؤية فلسفية يقيم من خلالها تصرفات البشر ويدعوا إلى إعادة قراءة مفهوم التسامح وإدراج مفاهيم جديدة في عالمنا هذا خاصة منها: الصفح، العفو، الهبة، والإعتراف

الكلمات المفتاحية: التسامح؛ الصفح؛ الهبة؛ المحرقة؛ التقادم.

* المؤلف المرسل: marwa.abidri.etu@univ-mosta.com

Abstract:

The issue of peaceful and universal coexistence is one of the most important approaches that has garnered the attention of philosophers and thinkers for a long time, especially during the Enlightenment era. This has led us to explore the approach of Jacques Derrida, one of the most significant philosophers of the twenty-first century, within the framework of what he calls "forgiveness." This was a direct and explicit response to the French philosopher Vladimir Jankélévitch, who was one of the main advocates for considering the crimes committed by Nazism as non-prescriptible and unforgettable. In doing so, he established a philosophical vision through which he evaluates human actions and calls for a re-reading of the concept of tolerance, incorporating new concepts into our world, particularly: forgiveness, pardon, gift, and recognition.

Keywords: Tolerance; forgiveness; gift; the Holocaust; non-prescriptibility.

1. مقدمة:

لم يتوقف الإنسان منذ اللحظات الأولى لوجوده عن طلب تحقيق الأمن والعيش مع الجماعة الواحدة في ظل جو تسوده أساسيات الحياة البشرية ولعل ذلك يرجع لكونه كائن عاقل مفكر قادر على تدبير شؤونه الذاتية والاجتماعية، حيث إن إشكالية التعايش السلمي بين أبناء البشر تعد من أهم المقاربات التي نالت إهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ أزمان بعيدة وخاصة في عصور الحداثة مع فولتير، إيمانويل كانط، جون لوك وذلك من خلال رسائل في التسامح إلا أننا إرتئينا أن نتوجه باحث في مقاربة جاك دريدا حول التعايش البيئي والكوني في إطار ما يسميه هو الصفح والذي رد فيه من خلال كتابه الصفح ما لا يتقادم على الفيلسوف الفرنسي فلاديمير جانكليفيتش أحد أهم من طالبوا بإعتبار ما إقترفته النازية من الجرائم الغير قابلة للصفح والتي يجب أن تحفظ في التاريخ بأبشع المعاني والكلمات، كما إهتمت الفلسفة الحديثة بإرساء مفاهيم أخلاقية واعية تهتم بالجوانب السلوكية للبشر كنوع من التحديث في مجالات الإجتماع والقيم بصفة عامة هذا ما دفع بها الى بلورة مفهوم التسامح من جديد خاصة بعد الصراعات الدينية والطائفية التي عايشتها أوروبا حيث لا يخفى علينا أنها حقبة تاريخية سيطر العقل فيها على

جميع الأشياء مما يجعل الإنقياد وراء رغبات وميولات الإنسان الشريرة والعنيفة معاديا لكل تحديث وإنسانية، لتستمر جهود الفلاسفة في السعي وراء الكشف عن سر التعايش السلمي، البيئي والكوني لتصل هذه المحاولات إلى مابعد الحداثة خاصة والفيلسوف الفرنسي جاك دريدا من خلال كتابه الذي صدر في السنوات الأخيرة الصفح مالا يقبل الصفح ومالا يتقادم، إذ يقدم بفضلله رؤية إتيقية قائمة على العفو في أعلى درجاته من أجل التعايش بين الأفراد والذوات وحماية قيم الاختلاف، هذا ما يدفعنا الى البحث في مفهوم الصفح أولا وقبل الإنطلاق في ضبط مايرمي إليه، ومنه يحق لنا طرح الإشكالية التالية: ما الصفح؟ ثم كيف ناقش جاك دريدا مسألة الصفح ردا على جانكليفيتش؟ هل الصفح ركيزة أساسية لتحقيق التعايش السلمي اليوم؟

2. المعنى الفلسفي للصفح:

1.2: أولا مفهوم الصفح لغة وإصطلاحا

في اللغة العربية يشتق مصطلح أو لفظ صفح حسب ابن منظور من الإصفاح فيقال "جائي فلان فأصفحته عنها إصفاحا إذ طلبها فمنعته" (منظور، 2016، 2456)، وهنا يريد من فأصفحته تركته وفي هذا معاني سلبية للصفح، وقال "ابن الأثير يقال صفحته إذ أعطيته وأصفحته إذ حرمته وصفحته عن حاجته بصفحة صفحا وأصفحه، كلاهما رد وصفح يصفح صفحا أي أعرض عن ذنبه وهو صفوح وصفح: عفو والصفوح الكريم لأنه يصفح عمن جنى عليه " (منظور، 2016، 2456) من خلال ما سبق عرضه في المفهوم اللغوي الصفح نستنتج أن هذا المصطلح يشير الى معاني السماح والرد عن الأذى في أغلب الأحيان وجاء أيضا "وأستصفحه ذنبه، أستغفره إياه وطلب أن يصفح له عنه " (منظور، 2456، 2016) أي حاول أن يطلب منه العفو إعتفا منه على إرتكاب ذنب في حقه ليتجاوز عنه، حيث إنه " ليس خاف على مستعملي العربية أن فكرة الصفح في اللسان العربي تتحرك ضمن شبكة من المفردات معذرة مسامحة سماح عفو إعفاء إستغفار غفران مغفرة تكفير عن الذنب توبة وهي ذات حمولة دينية تحيل في نهاية المطاف على صفح الإله الغفور " (دريدا، الصفح مالا يقبل الصفح ومالا يتقادم، 05، 2018)، ومن خلال هذا ندرك أن الصفح كلمة تشير الى كلمات عديدة لكنها مختلفة من حيث معناها الحقيقي لأنها تحاكي وجهة دينية ذات رؤية متعالية، فالصفح مذكور في كل الكتب السماوية كنوع من الإتصال البشري بالإله الواحد وطلب الغفران والعفو منه عن طريق تجاوزه كل ما

يقترفه البشر من معاصي تتطلب عفوه ومغفرته، ومنه فإن معنى العفو يختلف عن معنى الصفح في اللغة، " ذلك أن الأول يتعلق معناه بترك العقاب والتجاوز عن المذنب وتركه، أما الثاني فإنه يتعلق تماما بالعقاب أو الجزاء، فإنه جاء مقروننا بالكرم والعطاء، فمعناه أسمى من معنى العفو "(فتيحة، مفهوم الصفح عند دريدا، 2014، 106) ولعل هذا ما يبرر إستعمال جاك دريدا للصفح بدلا من العفو

أما اللغة الفرنسية فيقابل الصفح **le pardon** ويعني " الغفران الذي تمنحه الكنيسة والمغفرة الإلهية والعفو كما يعني المسامحة والعفو، كما تبدوا أيضا من حيث ترتيب حروفها كأنها مركبة من كلمتي **par** و **don** أي هبة "(دريدا، الصفح مالا يقبل الصفح وما لا يتقدم 2018، 06)، والهبة تشير الى الممنوح الغير مجبر منحه أي الهدية في أغلب الأوضاع وفي جل معاني اللغة العربية، وهي كلمة لم تكن لاتينية كما يسلم جاك دريدا في مطلع كتاب الصفح لكنها في " نسبها المعقد تنسب الى أصل لاتيني ويقابلها في الأسبانية **perdon** وفي البرتغالية **perdao** وفي الإيطالية **perdono** "(ج، 2018، 17) وبالتالي أضحت هذه الكلمة بملفوظاتها عالمية المعنى والنطق.

يجتهد المترجمان مصطفى العارف ووعبد الرحمان نور الدين في ضبط مفهوم الصفح إصطلاحا وذلك في مقدمة كتاب الصفح لجاك دريدا في تأكيدهما أنه " تصرف أخلاقي وإع ومسؤول، يقوم به شخص ما، سبق أن كان ضحية إساءة، أو أذى، أو جريمة، تجاه الجاني. ليس هذا التصرف بجديد. إذن هو قديم قدم النزاعات والحروب البشرية، وهو عنصر أساسي في العلاقات الشخصية. ولقد تناولته الأنساق الأخلاقية كلها، وحاولت تحديد شروطه وفوائده. كذلك تناولته الأديان، وتطرقت إلى الأفعال الإنسانية الشريرة، كذنوب، تستوجب الإستغفار والتوبة والتكفير "(علاء، 2019) كشكل من أشكال التنظيم الفردي والجماعي بغاية إرساء السلم والعيش في أمن وأمان دون نزاعات وماتخلفه من حروب ومآسي.

2.2. جاك دريدا وفلسفته:

ينتهي جاك دريدا الى تيار الفلاسفة المابعد حداثيين حتى أنه يرجع كل الفضل له في تأسيس مابعد الحداثة في الفترة الممتدة ما بين ستينيات الى سبعينيات القرن العشرين، خاصة بعد القطيعة التي أحدثها على بنوية فرديناند ديسوسيور، ومنه التأسيس المباشر لما يسمى بمابعد البنيوية من خلال منهج وإستراتيجية جديدة - **Deconstruction**

التفكيكية - لقراءة النصوص الأدبية والفلسفية والإنسانية بصفة عامة، والتي أراد من خلالها دريدا إعادة قراءة الفكر الغربي منذ اللحظة اليونانية، إنطلاقاً من معالم مختلفة أهمها تجاوز كل المركزية وتوجيه النظر نحو الهامش واللامفكر فيه، وبالتالي قلب منظومة التفكير وتجديدها وفق أليات تفكيكية تؤمن بالتشتيت والإزاحة، ينتهي دريدا إلى حق فلاسفة الاختلاف كما يعد " فيلسوفا فرنسي ولد في مدينة الأبيار بالجزائر سنة 1930 (طرابيشي، 1997، 286) عندما كانت الجزائر مستعمرة فرنسية، من أهم مؤلفاته الكتابة والاختلاف، أبراج بابل، الصوت والظاهرة، هوامش الفلسفة وخاصة الصفح الذي سنعتمده كمرجعية أساسية في بناء هذه الورقة البحثية، كما تأثر جاك دريدا بخلفيات فكرية متعددة أهمها جينيولوجيا نيتشه وفينومينولوجيا هسرل، ثم الكينونة عند هيدغر كما كرس فكره كله لتبين مناط الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة الغربيون خاصة منهم أفلاطون وهيغل.

3. الصفح بين دريدا وجانكليفيتش:

1.3: الدوافع التي أدت بدريدا إلى مناقشة الصفح:

أقدم جاك دريدا Jacques Derrida على مناقشة مفهوم الصفح في مصدر كامل حديث الترجمة والإصدار عنوانه ب الصفح: مالا يقبل الصفح ومالا يتقادم وذلك لكونه رهان فلسفي ينبغي حقا التأسيس له والتفكير فيه من جديد بهدف تحقيق السلام وإحياء قيم التعايش العالمي بين البشر خاصة بعد تاريخ طويل من الصراعات شهدتها ومازالت تشهدا البشرية جمعاء، سعيا منه أيضا لترسيخ قيم الاختلاف والإعتراف والمغايرة، وتعزيزا لإعادة قراءة مفهوم الصفح من جديد وفق أليات جديدة مع إمكانية إعطاء معاني أكثر إتساعا عن المؤلف، و" ليس من حيث أنه مفهوم يهدف الى الوقوف عند سياسات الصفح أو إستراتيجية المصالحة أو الصبغ القانونية والتشريعية والسياسية التي تروم مجاوزة الماضي والترميم وجبر الضرر بل يقف عليه في إمكانياته وحدوده، لنقل في كونه مستحيلا داخل الممكن " (جاك، الصفح ما لا يبق الصفح ومالا يتقادم، 2018، 11)، ومنه إعادة بلورته بإبعاده عن كل المفاهيم الكلاسيكية التي إرتبطت سابقا بكونه مفهوم متشظي يتداخل فيه الديني بالإجتماعي والسياسي بالقانوني، لمحاولة فهمه في ذاته وكقوة إنسانية متدفقة لا ينبغي تجاوزها في ذاتها.

كما لا يخفى عنا أن جاك دريدا يعتبر من أوائل الفلاسفة الذين عبروا عن فلسفتهم بأسلوب تفكيكي يعتمد على الهدم وإعادة البناء الذي يعد مفهوما محوريا وجوهريا في فلسفة هايدجر Haidger Martin ، مستخدما لغة شبحية متشظية يعترتها الغموض والتلاعب بالألفاظ، لينقل القارئ من زاوية الى أخرى ولعل هذا ما دفع المفكر العربي أحمد أبو زيد إلى وصفه " بفيلسوف فرنسا المشاغب وذلك في كتابه الطريق الى المعرفة" (أبوزيد، 2001، 133) .

إن نص دريدا الموسوم بالصفح ما لا يقبل التقادم " هو قراءة ومناقشة لأطاريح الفيلسوف الألماني فلاديمير جانكليفيتش Vladimir Jankélévitch الذي عالج إشكالية الصفح في كتابيه الصفح ومالا يقبل التقادم " (جاك، الصفح ما لا يبق الصفح ومالا يتقادم، 2018، 08)، مطالب من خلالهما إعتبار المحرقة الهتلرية أو الهولوكوست the holocaust هذا المصطلح ذو الأصل اليوناني الذي يفيد إفتعال النيران من أجل إحراق كل شئ، من الجرائم البشرية التي لا ينبغي تجاوزها ولا الصفح عنها وإعتبارها من أبشع الجرائم التي شهدتها التاريخ، حيث يعتقد جانكليفيتش بأن هناك مالا يقبل الصفح ولا يقبل التقادم ولعلنا سندعى الى ملاحقة رأي هذا الفيلسوف إزاء معاني الصفح ثم التوجه نحو تحصيل معاني الصفح عند فيلسوفنا ومنه نتسائل: ما الصفح عند جانكليفيتش؟.

حتى يتسنى لنا ملامسة أفكار كل من دريدا وجانكليفيتش ينبغي أن نميز بين مفهومي الصفح والتقادم حيث إن هذا الأخير مفهوم قانوني ظهر في "فرنسا سنة 1964 يقضي بأن الجرائم ضد الإنسانية لا ينطبق عليها مبدأ التقادم بمعنى أن يحق علينا رفع قضية على الجاني مهما طالت مدة جريمته وهذا ما لا يتحقق في الجرائم الأخرى حيث يسقط حق رفع قضية حولها بعد مرور فترة محددة من الزمن يحددها القانون" (عبدالله، 2006). من هنا تم فتح ملفات الجرائم الكبرى التاريخ خاصة جرائم الحربين العالميتين الأولى والثانية، ورفض التعامل مع مثل هذه الجرائم على أنها مجرد أحداث أو زلات ماضية ينبغي تجاوزها لمجرد أنها تقبل النسيان، إذ طالب فلاديمير جانكليفيتش في سجال له حول إمكانية التجاوز برفض التقادم والتسليم بما لا يقبل التقادم ولعل هذا كان عنوان كتابه الذي يعبر عن هذه الرؤية بشكل مفصل، " الرفض للصفح عن الجرائم التي إرتكبت ضد إنسانية الإنسان ليس ضد أعداء سياسيين دينيين أيديولوجيين" (عبدالله، 2006)، كان من الواجب أن ينالوا جزاء ما إقترفوه في حق ملايين البشر.

2.3. الهولوكوست من منظور فلسفي:

شهد تاريخ البشر العديد من الجرائم التي عبرت عن الجانب الأقبح للإنسان هذا الكائن العاقل أمام الأجيال الجديدة، ولعل ذلك يرجع الى بشاعة ما إقتترف من عنف وعدائية وجهتها قوى سياسية عدوانية وأنانية فقط بغرض الحفاظ على بقائها، وفرض سيطرتها وسلطتها على الدول بما تحمله من أفراد وجماعات، حتى ولو كان هذا البقاء الديكتاتوري على حساب الآخر، وإن كنا في حاجة الى الإستدلال فنحن سنستشهد بأحداث ليست ببعيدة عن زمننا ألا وهي المجازرة الصهيونية الذي إقترفتها ومازلت تقترفها إسرائيل على الشعب الفلسطيني من جرائم بشعة تزداد شدتها في كل لحظة وفي هذا الكثير من التفصيل، من هنا وددنا أن نرجع الى الماضي خاصة حادثة المحرقة التي أمر بإفئعالها أدولف هتلر Adolf Hitler زعيم ألمانيا النازية nazisme على اليهود سنة 1945، حيث أمر هتلر بإحراق وإبادة ملايين البشر في أماكن مخصصة لذلك تعرف غالبا بالمرايض، فقط من أجل القضاء على وجودهم بل والأكثر من ذلك تصفيتهم وتصفية أنسالهم، حيث وصفها " عبد الوهاب المسيري بأنها أول مذبحه غربية تقوم بها الإمبريالية داخل أوروبا، وضد أروبيين " (باومان، 19، 2014)، كما أدت محرقة هتلر الى إنهاء حياة ملايين الأفراد الذين ينتمون الى الديانة اليهودية، فقد " إستهدف النازيون اليهود لأن النازيين كانوا معادون للسامية بشكل جذري وهذا يعني أنهم كانوا متحيزين ومكروهين لجميع اليهود في الواقع كانت معاداة السامية أحد أهم المبادئ الأساسية لإيديولوجياتهم وأساس نظرتهم للعالم " (ماهو الهلوكوست؟، 2024) والسامية في الأصل كلمة مشتقة من الأصل سام وجمعها الساميون " نسبة إلى سام ابن نوح عليه السلام وعادة ما يشار بها إلى الشعوب الساكنة في شبه الجزيرة العربية، وفي بلاد النهرين وفي المنطقة السورية " (حسن، 2024) مما جعل هاؤولاء منبوزون في ألمانيا النازية لأسباب متعددة نذكر منها إيمان النازية بالأيديولوجيا الداروينية التطورية التي دفعهم إلى التصديق بأصالة وجوده أعراقهم الأرية دون غيرهم من البشر، بالإضافة إلى إعتبارهم السبب الرئيسي والمركزي في سقوطها فقد " خانوا ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى وكانوا مسؤولين عن هزيمتها وثانيا أن اليهود كانوا مسؤولين عن بؤس ألمانيا الإقتصادي خلال فترة الكساد في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينيات " (لماذا تم إستهداف اليهود بالإضطهاد والإبادة، بلا تاريخ) من هنا نستنتج أن الهلوكوست كأحد أهم الجرائم البشعة كانت تحركها أيديولوجيات وقناعات

ذاتية، تبرر العنف بأبشع صوره وتكرس خطابات الكراهية فقط من أجل الحفاظ على قواها، حتى أن القرن العشرين، " كان حافلا بالفضائع والشرور يكفي أن نذكر منها هاهنا الحربين العالميتين الأولى والثانية، وحملات التطهير العرقي، والميز العنصري بتجلياته كلها، ومخلفات الإستعمار الإمبريالي بأشكاله كلها فهل يمكن الصفح عن الجرائم التي صنفت في عداد الجرائم الإنسانية؟ " (جاك، الصفح ما لا يبق الصفح ومالا يتقادم، 08، 2018)، خاصة منها الجرائم النازية " فقد قيل عنه إنه القرن الأكثر دموية في تاريخ البشر، حتى وصف بكونه القرن الذي إنقضى من أجل لا شيء " (دريدا، ذهنية الإرهاب، 2003، 07)، إذ دعى سيجموند باومان Zygmunt Bauman من خلال كتابه الموسوم بالحدثاء والهلوكوست الى " رفض التعامل معها على أنها مشكلة ألمانيا أو مأساة يهودية تخص التاريخ اليهودي فقط " (باومان، 24، 2014)، بل ينبغي توسيع مجالات النقاش حولها نظرا لجدية ماتحمل، من أفكار وأيديولوجيات ستبقى حاضرة في متون التاريخ وسيشهد هذا الأخير على أنها كتبت بدماء ملايين من البشر الأبرياء، كان ذنبهم الوحيد إيمانهم بعقيدة وأيديولوجيات مغايرة. كما لا يمكننا أن ننكر بشاعة الجرائم الأخرى، فعالمنا اليوم مازال يعاني من مخلفات القنابل التي ألقت بها أمريكا في اليابان بهروشيما وناكازاكي إبان الحرب العالمية الثانية، وفرنسا في رقان الجزائرية وذلك من خلال إنتشار الأمراض والأوبئة في هذه المناطق التي أضحت شبه معزولة ومهجورة تفتقر إلى أسباب الحياة الإنسانية ولعل هذه المخلقات أدت إلى شعور الفلاسفة خاصة منهم دريدا إلى الرغبة في فتح سجلات إيجابية تدعو إلى التذكير بقيم التسامح والإيمان بالصفح اللامشروط.

4. مأخذ وحدود الصفح:

1.4 نحو صفح لامشروط:

يتساءل دريدا في مقال له بعنوان الصفح في مسيرة قرن عن إمكانية إعادة قراءة مفهوم الصفح من جديد بعد ما طرحه الفيلسوف الفرنسي فلاديمير جانكليفيتش من أفكار بغية الإستفادة منه وربطه بسياقات العيش المعاصر وحاجته الملحة لإعادة تفعيل مثل هذه القراءات التي تصب في قوالب العفو والتسامح، إنطلاقا من التنويه أن هذا المصطلح كان ذو حضور واسع في متون الديانات السماوية، الإبراهيمية، المسيحية والإسلام، قائلا في مستهل حديثه عنه " مبدئيا ليس هناك حد للصفح ولا مجال معه للقياس ولا مكان فيه للإعتدال ولا معنى ل إلى أي حد؟ " (ج، موران، وأرندت، المصالحة والتسامح وسياسات

(الذاكرة، 2005)، تكمن القدرة الحقيقية في ملازمة الصفح عند دريدا بادئ ذي بدئ في إستشعار غاياته القصوى، لذلك كان دائم الإندفاع في عزله عن جل المفاهيم التي كانت تحتضنه خاصة منها التسامح، هذا الأخير يعتبر سمة إنسانية نبيلة تتجسد من خلال التغاضي لكن لا تشترط التجاوز المطلق أو العفو التام حيث " يبقى التسامح الطرفين على خصومتهم ولكن بتسوية تضمن لهما مكانتهما، القوي كما الضعيف ولهذا فإن السياسة تستعمل التسامح كدعاية لها ولا تقترب من الصفح لأنها لا تقدر على تنفيذه " (علي، 2019) كما يشترط دريدا في مسألة الصفح أن يكون كل من الجاني والمجني عليه في مواجهة مباشرة لأن دون ذلك لا يعد صفحا بل مصالحة، " وهي سياسية بإمتمياز وتختلف عن الصفح إن وجود الصافح حي هو المانع للصفح، لهو ضروري ومن النوافل " (علي، 2019) حيث نلاحظ أنه يعتمد الفصل بين المفاهيم حتى يتم التخلص من كل الشوائب الكلاسيكية التي كانت تحتضن الصفح حولها ولا تمنحه حقه الكامل في فهم القارئ .

نشأ دريدا في محيط يعتنق الديانة المسيحية رغم أنه كان يهودي العقيدة، مما جعله يعيش نوعا من التنوع الديني الذي سمح له أن يحصل أساسيات هذه العقائد خاصة المسيحية التي كانت لها معاملات خاصة مع الجرائم والخطايا المرتكبة من طرف البشر، لتفصل بين الكبائر والصغائر، إلا أنه رفض هذا الفصل وأكد أن الصفح إستعداد مطلق لتجاوز جميع الزلات والخطايا قائلا " فإذا لم نكن مستعدين للصفح إلا على ما يبدو أنه قابل للصفح، وهو ماتطلق عليه الكنيسة الخطيئة الغير مميتة أي ما يدخل في إطار الصغائر فإن فكرة الصفح نفسها ستتبخّر " (ج، موران، وأرنندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 07، 2005) وستفقد معناها، كما حذر من إستخدام سياسيات الدول الصفح كإستراتيجية أو بمعنى آخر آلية جديدة للدفاع عن أنظمتها، " لأن الأمر دائما يتعلق بمفاوضات تكاد تكون صريحة ومعلنة وتسويات محسوبة وبأوامر شرطية " (ج، موران، وأرنندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 2005، 18)، يدفع الصفح ضريبتها فتموه معانيه الخالصة، فيصبح بعد ذلك عفوا، مصالحة، جبر الضرر وغيرها من المصطلحات التي عمل دريدا على فرز معانيها بغاية تصحيح المعنى العام للصفح.

تستند جل دول هذا القرن في معاملات الصفح عن الجرائم والأضرار اللاحقة بالضحايا عند فقدانهم الحياة إلى العائلة، الاب، الأم، الزوجة أو الزوج حتى يتم طلب الإصتصاف منها، لكن هذا مرفوض البتة عند دريدا لأنه يؤمن أن الضحية وحده قادر على

الصفح" حتى لو كانت الزوجة بدورها ضحية فإن الضحية المطلقة إن جاز التعبير يظل هو زوجها الراحل الميت "(ج، موران، وأرندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 23، 2005) وإن كان القرار في يد الحاكم الأول للدولة فهو مرفوض لأن تحقيق العدالة في أصلها يتطلب الفصل بين الفضاءات، أي لا ينبغي الخلط بينها البتة " لأن عدالة الصفح تختلف كلياً عن العدالة القضائية وعن القانون" (ج، موران، وأرندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 2005، 22) كما يعتقد دريدا أن قوة الصفح تكمن في قدرة المجني عليه أن يصفح عن الجرائم التي لا تقبل الصفح قد تبدوا هذه العبارة غريبة أو مهمة لكنها تحتضن جل فلسفته حول هذه القيمة الإيتيقية من هنا قدم لنا دريدا رؤية فلسفية حول إمكانية وحدود الصفح ليفتح المجال للتسليم من أجل النسيان .

كما تعمق هذا الفيلسوف في مفهوم العقاب بكل تجلياته ليختار الإعدام له نموذجاً له مارس عليها أدواته التفكيكية مستنداً إلى فلسفة كل من كانط وبكاريا حوله ليشكل رؤية فلسفية حول سؤال يدور في مدى إمكانية منع الإعدام وإستبداله بعقوبات أخرى حمايتاً للكرامة البشرية وإستبدالاً للطرق القديمة التي تقابل العنف بالعنف مقراً بذلك في قوله "يظل خطاب إلغاء قانون الإعدام عرضة للتكامل والتهشيم في الوقت ذاته لأنه يضع حدوداً لإحترام الحياة ولمنع وقوع القتل داخل حدود الأرض الوطنية في حال السلم، غير أن مفاهيم الحرب والسلام في الوقت الراهن أصبحت مطاطية وأكثر تقلقاً وتداخلاً مما كانت عليه في السابق " (بديوي، 156، 2015) مشيراً بهذا إلى رؤية الفلاسفة القدماء حول الإعدام التي كانت دائماً تتمحور حول الشجاعة والقدرة على تحمل الجزاء حتى ولو كان على حساب الحياة خاصة منهم أفلاطون الذي " رأى في التضحية قيمة تسمو فوق الحياة من خلال كرامة الموت " (بديوي، 154، 2015) كما ينبغي علينا أن لا نهمل التأكيد أن فيلسوفنا يسعى إلى تقديم حلول بديلة هدفها الأساسي هو التعايش الكوني وإسترجاع الحقوق بطرق جديدة تحترم السلام وتجعله مبدأ أساساً تسير وفقه كل المنظومات الإنسانية والسياسية.

2.4 نقد فلسفة الصفح عند دريدا: هل حقاً في قدرتنا التجاوز؟

إن المقاربة التي دافع عنها دريدا حسبنا لا شك أنها تحمل في طياتها قيم ومبادئ نبيلة تسعى في الأساس إلى تمكين الذات من الإنغماس في الذات المقابلة لها عن طريق الصفح والتجاوز المطلق عن كل ما من شأنه أن يخلف ضغينة بين أبناء البشر، خاصة عندما ربط

مقارنته بالجرائم البشعة التي شهدتها التاريخ محاولا بذلك تجاوزها وإدخالها في دائرة ما يقبل النسيان، لكن هذا يستوجب منا العودة إلى طرح إشكالية أخرى مفادها: هل حقا في قدرتنا تجاوز كل ما خلف في أنفسنا ألما غير قابل للنسيان؟ من هنا إنطلق الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران Edgar Morin في نقد أطروحة دريدا إيماننا منه أنه سعى إلى إحياء مقارنة فلسفية ذات قيمة متعالية خاصة بعد ما شهده القرن الماضي من جرائم بشعة، كما أعجب بمرجعياته الدينية فقد كان دريدا محقا في نظره عندما "أخذ بعين الاعتبار الأصول اليهودية المسيحية للصفح الذي لا يخفى ارتباطه بالخطيئة" (ج، موران، وأرندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 41، 2005) لكن هذا لا يعني حسبه أن كل ما طرحه دريدا قابل للتحقق لأنه آمن بالصفح اللامشروط، الذي لا يخضع لخطئة ولا لجزاء واضح المعالم بمجرد أنه قيمة إيتيقية متعالية في ذاتها لا تقوم على شوائب، إذ يقول موران في هذا الصدد "لا أوافق هذا الرأي لأن الصفح كما أعرفه يحمل دوما معنى ودلالة ويمكن أن يكون له عند الإقتضاء، معنى براغماتيا، بل سياسيا من دون أن يذهب هذا المعنى خاصيته المنبثقة عن هذه الوثبة" (ج، موران، وأرندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 2005، 45)، كما أن دريدا في رده على جانكليفيتش بخصوص الهلوكوست كان يؤكد أن ما قال به هذا الفيلسوف مبالغ فيه على النقيض من ذلك حسب موران لا يمكن السماح لجرائم كالهوكوست، نالت من ملايين البشر دون عقاب مشيرا بهذا إلى فضاعة الهلوكوست ومخلفاتها المادية والمعنوية على البشرية جمعاء ليصنفها ضمن الجرائم التي لا تقبل الصفح، فهذا الأخير يمكن أن يتحقق عند قدرة الإنسان على ذلك، فنحن يمكننا أن نصفح عن سارق إقتحم بيوتنا لينال أشياء مادية لكن يتعذر علينا أن نصفح عن جرائم إنتهكت ذواتنا معنويا وحرمتنا الحق في العيش بشكل سليم وسوي معنويا وخاصة نفسيا، كما ينوه إلى إمكانية إستخدام الصفح لتغليظ الشر في أسوء حالاته قائلا "ما هو مرعب في إعتقادي، هو الشر الذي يقع في ما وراء الصفح والعقاب، الشر الذي لا يمكن دفعه أو درء مفسده التي تتسبب في تدمير تاريخ البشرية" (ج، موران، وأرندت، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، 49، 2005)، مؤكدين حسب موران على وجوب الصفح فقط على ما يقبل الصفح لا دون ذلك .

خاتمة:

نستنتج في الأخير من خلال كل ما تم عرضه أن إشكالية الصفح ليست بهينة لأنها ذات حمولة فلسفية خاصة وفريدة من نوعها نظرا للقضايا الشائكة التي تلامسها فنحن لا نتحدث عن الصفح البسيط بل الأعمق من ذلك، مما يجعل إطلاق الأحكام حول قضاياها صعب جدا، إلا أن فيلسوفنا قد وفق في إعادة بلورتها بإيتيقا جديدة تسعى إلى توجيه النظر نحو القيمة المتعالية التي تكمن في القدرة على الصفح، لكن دائما في إطار ما تستطيع ذواتنا الصفح عنه، لأن التاريخ يشهد وجود جرائم لا ينبغي قطعاً نسيانها لغاية واحدة هي الموعظة من ما مر وتجنب تكرار حدوثه لنكون في حاجة للعفو أكثر منه الصفح لأن الأول تجاوز تام لكن مع إبقاء الذاكرة حية ومستيقضة خاصة عندما تتعلق الجرائم بأمن الدولة وسلامة مواطنيها في أزمان العولمة.

المصادر والمراجع

المؤلفات

1. أحمد أبوزيد. (2001). الطريق إلى المعرفة (المجلد 01). الكويت: العربي.
2. إين منظور. (2016). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
3. أبو زيد أحمد. (2001). الطريق إلى المعرفة (المجلد 01). الكويت: العربي.
4. جاسم بدوي. (2015). التفكير السياسي في فلسفة جاك دريدا الإستراتيجيات الأدبية للتفكير السياسي (المجلد 01). بيروت، لبنان: دار الروافد الثقافية.
5. جاك دريدا. (2003). ذهنية الإرهاب (المجلد 01). (حجار ب، المترجمون) بيروت، لبنان: المركز العربي الثقافي.
6. جاك دريدا. (2018). الصفح مالا يقبل الصفح ومالا يتقدم. (العارف مصطفى، المترجمون) ميلانو، إيطاليا: المتوسط.
7. جورج طرابيشي. (1997). معجم الفلاسفة (المجلد 02). بيروت، لبنان: دار الطليعة.
8. دريدا ج، إـ موران، وح أرندت. (2005). المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة (المجلد 01). (العمري ح، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
9. س باومان. (2014). الحداثة والهوكوس (المجلد 01). (ح أبو جبر، ود رمضان، المترجمون) القاهرة، مصر: مدارات للابحاث والنشر.

المجلات

1. فاطمي فنيحة. (19 و 18 نوفمبر، 2014). مفهوم الصفح عند جاك دريدا. الملتقى الدولي الثالث حول جاك دريدا بين الفلسفة والنقد الأدبي، صفحة 106.

المواقع الإلكترونية

2. البزاز علي. (16 أغسطس، 2019). الصفح ما بين جاك دريدا والضيافة عند العرب. تم الاسترداد من القدس العربي: <https://www.alquds.co.uk>
3. المطيري عبدالله. (17 أغسطس، 2006). قراءة عبد الله المطيري لكتاب المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة. تم الاسترداد من blogspot: https://abdullahmutairibooksreviews.blogspot.com/2011/12/blog-post_6344.html?view=classic

4. خليفة مُجّد حسن. (21 جويلية، 2024). اليهود وفكرة العداء للسامية. تم الاسترداد من الجزيرة:
<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2004/12/22>
5. رشدي ع. (19 تموز، 2019). هل يمكن الصفح عن جرائم ضد الإنسانية. تم الاسترداد من الجمهورية:
<https://aljumhuriya.net/ar/2019/07/25>
6. رشدي علاء. (25 تموز، 2019). هل يمكن الصفح عن الجرائم ضد الإنسانية؟ تم الاسترداد من الجمهورية:
<https://aljumhuriya.net/ar/2019/07/25>
7. لماذا تم إستهداف اليهود بالإضطهاد والإبادة. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من unesco world jewish congress:
<https://aboutholocaust.org/ar/facts/lmadha-tm-asthdaf-alyhwd-baladthad-walibadt>
8. ماهو الهلوكوست؟. (29 يوليو، 2024). تم الاسترداد من موسوعة الهلوكوست:
<https://encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/introduction-to-the-holocaust>